الاستبدال الصوتي في القراءات القرآنية وأثره في الدلالة

*يوسف عبد الرزاق عبد السلام العربي

المستخلص: لا يزال القرآن الكريم مجالا ثريا للدرس اللغوي سواء في ألفاظه أو تراكيبه أو بلاغته ،كيف لا وهو كلام رب البشر ومعلمهم، ولقد أنزل القرآن الكريم على قلب نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم في أمة تتفتق ألسنتها بالفصاحة في أعلى درجات بيانها، لكنهم مع ذلك وقفوا عاجزين عن أن يأتوا بمثل كلام الله تعالى في فصاحته، أو أن يجاروه في بلاغته، وكان من رحمة الله وتيسيره على عباده أن أنزل القرآن الكريم على سبعة أحرف لتسهل تلاوته على العرب باختلاف قبائلهم و تنوع ألسنتهم، واختلاف القراءات في القرآن الكريم جاء على عدة صور، فمنها اختلاف في حركة بنية الكلمة أو حروفها، ومنها اختلاف في حركة الإعراب، ومنها ما يختلف في الصياغة والتركيب، ولا شك أن هذا الاختلاف والتنوع في قراءة الكلمة القرآنية كان له أثره في الدلالة.

يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على بعض الاختلافات في القراءات من خلال توظيف ظاهرة الاستبدال الصوتي، وكيف أثر التبادل الصوتي في دلالة الكلمة، وما تبع ذلك من تغير في دلالة الآية.

الكلمات المفتاحية: القراءات– الصوت– الدلالة — التفسير– الاستبدال

مقدمة:

اشتملت القراءات القرآنية على عدد كبير من الظواهر والقضايا الصوتية التي شكلت محورا هاما في التحليل الصوتي لآيات القرآن الكريم؛ وهي في مجملها تغيرات حدثت على تركيب وبنية الكلمة القرآنية، بعضها أحدث أثرا في التنوع الدلالي للكلمة، وبعضها لم يكن له ذات التأثير، ويمكن حصر تلك التغييرات في الآتي:

1- تغيير في بنية الكلمة وتركيبها الصوتي؛ وذلك بالحذف أو الزيادة أو الاستبدال.

2- تغيير في حركات بنية الكلمة.

3- اختلافات في بعض الظواهر الصوتية التي تظهر من خلال التركيب، كالوقف والفاصلة بأنواعها.

4- اختلافات صوتية ،ذات طابع لهجي هو أثر لاختلاف اللهجات العربية؛ كالتفخيم والإمالة والتسهيل والإدغام، ونحو ذلك[1] .

وكما نلاحظ فإن هذه التغييرات شملت نوعي الأصوات الصوائت، والصوامت، وهو ما يجعل منها مجالا غنيا للدراسة والبحث؛ بما يبين سعة وإمكانيات اللغة في تمظهرها الصوتي، وهذا ما اطلعت به كتب التوجيه اللغوي للقراءات، وكتب التفسير، حيث نجد تأصيلا وتقعيدا لهذه الظواهر والتغييرات الصوتية، إضافة إلى تحليل الأثر الذي احدثته تلك الظواهر في دلالة الآيات القرآنية.

* محاضر، كلية التربية أوباري، جامعة سبها alarabiyousf@yahoo.com

تهدف هذه الدراسة إلى بيان بعض النواحي الدلالية في القراءات القرآنية ضمن دائرة ما يعرف بـ (الاستبدال الصوتي)، باعتباره يمثل ملمحا بارزا في التنوع القرائي الصوتي من جهة؛ كما أنه يمثل تنوعا دلاليا من جهة أخرى، وباجتماع هذين التنوعين تأتي هذه الدراسة لتطرح عددا من الأسئلة مثل: ما طبيعة وشكل التنوع في القراءات القرآنية؟ وما مدى انعكاس هذا التنوع في دلالة الكلمة القرآنية؟ هل كان لهذا التنوع أثر في فهم معاني الآيات ودلالتها؟ ما طبيعة المعاني المستفادة من اختلاف القراءات؟ وهل يمكن الجمع بين هذه المعاني؟

للإجابة على هذه الأسئلة اتبع البحث المنهج الوصفي إضافة إلى المنهج التحليلي، فالأول يصف ويتتبع ظاهرة الاستبدال الصوتي في بعض الكلمات القرآنية التي وردت بأكثر من قراءة، ليكون المنهج التحليلي هو وسيلة البيان والتحليل العملي لمعاني تلك القراءات، وستستعين الدراسة في هذا التحليل بأقوال المفسرين قديما وحديثا، أما عن المدونة التي سيجري عليها تناول ظاهرة الاستبدال الصوتي فستكون اختيارا لبعض المواضع من القرآن الكريم التي نقل فيها اختلاف القراءة.

أولاً: في معنى الاستبدال الصوتي:

الاستبدال أو الإبدال[2] هو ظاهرة صوتية تتعلق ببنية الكلمة من جهة تركيب حروفها، و ما يتبع تلك الحروف من حركات مصاحبة تسمى بحركات البنية، وهي الحركات التي تكون في أول الكلمة أو وسطه، تمييزا لها عن حركات الإعراب التي تكون في آخر الكلمة، ومن هنا تأتي أهمية هذه الظاهرة من الوجهة الدلالية؛ فإذا كانت الحروف هي مادة بنية الكلمة وتركيبها؛ فإن منشأ الاختلاف والتنوع الدلالي بين الكلمات يرجع إلى حركية المكونات الصوتية من حيث تنوعها أو تموضعها في بنية الكلمة، وقبل أن نبين هذا الأثر الدلالي لهذه الظاهرة الصوتية يجدر بنا أولا أن نحدد المفهوم اللغوي لكلمة الاستبدال كيما ننطلق بعدها لتحديد معناه في الاصطلاح اللغوي.

فالاستبدال لغة مصدر للفعل السداسي اسْتَبْدَلَ، "ويقال: تبدل الشيء وتبدل به واستبدله واستبدل به، كله: اتخذ منه بدلا، وأبدل الشيء من الشيء وبدله: اتخذه منه بدلا، وأبدلت الشيء بغيره، وبدله الله من الخوف أمنا، وتبديل الشيء: تغييره وإن لم يأت ببدل، واستبدل الشيء بغيره وتبدله له، إذا أخذ مكانه، والمبادلة التبادل، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله" [3]، فالمعنى اللغوي للاستبدال يدور حول معنى وضع شيء مكان شيء آخر يكون بديلا عنه، أما الاستبدال الصوتي كما تصطلح عليه هذه الدراسة فهو تغيير صوتي في بنية الكلمة، يتمثل في وضع صوت مكان صوت آخر، فينتج عن ذلك تغير في بنية الكلمة ودلالتها، وقد تكلم الزركشي على هذه الظاهرة فقال: "ومن كلامهم إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض، يقولون:

مدحه، ومدهه"[4] ، وتعبر الدراسات اللغوية الحديثة عن هذا بمصطلح (الوظيفة التعبيرية للحرف)، حيث ينظر للصوت باعتباره مقابلا استبداليا لصوت آخر[5]، والاستبدال بهذا المعني يأتي على نوعين: (الأول) نوع يكون فيه الاستبدال بوضع حرف مكان حرف آخر، كأن نستبدل حرف التاء من حرف الطاء في كلمتي (تاب) و(طاب)؛ و(الثاني) نوع يكون فيه الاستبدال بين حركات بنية الكلمة دون حروفها، كالاستبدال بين الفتحة والضمة والكسرة.

تأتي أهمية ظاهرة الاستبدال الصوتي من جهة إسهامها في ثراء المفردات اللغوية، وتنوع صور التعبير عن المعاني، والذي يعنينا هنا هو تمثل ظاهرة الاستبدال في القرآن الكريم، حيث تبدو واضحة في عدد من وجوه القراءات القرآنية، فنجد بعض الكلمات تقرأ بأكثر من وجه، وفي هذا يقول الزركشي عند حديثه عن أنواع الاختلاف بين القراءات: " الاختلاف في تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يغير صورة الخط بها في رأي العين، نحو (كيف ننشزها) و (ننشرها)" [6] ، ويقول أحمد عبد التواب: " إن من أنماط الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ما قد لوحظ من وضع وإقامة حرف مقام حرف للإعلام بإرادتهما جميعا، أو للخروج بالكلام والدلالة إلى باب ذلك الحرف[7] ، ولهذا التنوع في بنية كلمات القرآن الكريم انعكاس على الدلالة العامة للآية القرآنية، فأحدث تنوعاً في معانيها بحسب كل قراءة، لكنها معاني مقصودة مراده، وكل معنى يتمم الآخر ويتكامل معه، يقول ابن عاشور في كلامه عن حالات اختلاف القراءات:" أما الحالة الثانية فهي اختلاف القراءة في حروف الكلمات .... وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل .... وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير، لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره؛ ولأن اختلاف القراءات في ألفظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة ... والظن أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر تكثيرا للمعاني .... على أنه لا مانع أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مرادا لله تعالى ليقرأ بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني .... ولذلك كان اختلاف القراء في اللفظ الواحد من القرآن قد يكون معه اختلاف المعنى[8] ، وقد أشار ابن عاشور في كلامه السابق إلى أمر هام يتعلق بظاهرة الاستبدال في القراءات القرآنية؛ وهو أن وجود الاستبدال بين تلك القراءات لا يلزم منه تغير في معاني المفردات، ويتضح هذا الأمر جليا في تلك القراءات التي يكون الاستبدال فيها ناتج عن اختلاف لهجي بين لغة وأخرى.

ثانيا: الاستبدال الصوتي في القراءات القرآنية:

نجد عددا من الآيات التي أدى فيها الاستبدال بين أصوات الكلمة وحروفها إلى تنوع في دلالة الكلمة، سوف نستعرض بعضا منها في محاولة لاستكناه الأثر الدلالي لهذه الظاهرة على معاني الآيات القرآنية.

1– (كثير _ كبير):

قال تعالى: (يسئلونك يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)(البقرة:219) .

قرأ كل من حمزة والكسائي (إثم كثير)، وقرأ الباقون (إثم كبير)[9] ، فالاستبدال في هذه الكلمة بين صوتي الباء والتاء، وهو استبدال انعكس على معنى الكلمة: فالذين قرأوا (كثير) فهو من الكثرة التي هي نقيض القلة، وكَثُرَ الشيء يكثر كثرة فهو كثير، ومن قرأ (كبير) فهو مأخوذ من كَبُرَ يَكْبُرُ، أي عَظُمَ فهو كبير، والكبير نقيض الصغير[10].

وإذ قد اختلف معنى الكلمتين؛ فقد اجتهد العلماء في تفسير معنى الآية بناء على ذلك الاختلاف، فذكروا أن مجيء القراءة بلفظ (كثير) إنما قصد به مقابلة الجمع في قوله تعالى في نفس الآية: (ومنافع للناس)، فلفظ (منافع) جاء بالجمع الذي هو دليل الكثرة، ومقابل المنافع الكثيرة هو الآثام الكثيرة، " وكأنهم رأوا أن الإثم بمعنى الآثام، وإن كان في اللفظ واحدا، فوصفوه بمعناه من الكثرة[11] ، فهذه القراءة محمولة على المعنى، وذلك بالنظر إلى أن الخمر تحدث آثاما عديدة كالإعراض عن ذكر الله، واللغط والسب، والعداوة، وغير ذلك، فوجب أن توصف الآثام بالكثرة لتعددها، وقد بين الله تعالى بهذه القراءة أن للخمر آثاما متعددة، وأن كثرة الآثام متقررة فيها من وجوه كثيرة[12]، وقيل: إن الوصف بالكثرة للدلالة على تعدد الآثمين من الناس الذين يباشرون الخمر، وقد جاء التنصيص عليهم في قوله صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحولة إليه"[13]، يقول صاحب اللباب: " وأما وجه قراءة الأخوين: فإما باعتبار الآثمين من الشاربين، والمقامرين؛ فلكل واحد إثم، وإما باعتبار ما يترتب على تعاطيهما من توالي العقاب وتضعيفه، وإما باعتبار ما يترتب على شربها مما يصدر من شربهما من الأقوال السيئة والأفعال القبيحة " [14].

والمعنى على قراءة (كبير)، أي إثم عظيم، لأنه يقال لعظائم الفواحش كبائر، ومقابلها هو الصغائر من الآثام، فهذه القراءة محمولة على معنى الإفراد، أي أن هذا النوع أو الجنس من الذنوب كبير، وقد أجمعوا على أن شرب الخمر من الكبائر، فلذا وصف الإثم المترتب عليها بأنه كبير[15]، قال القرطبي: " قوله تعالى: (قل فيهما) يعنى الخمر والميسر (إثم كبير) إثم الخمر ما يصدر عن الشارب من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور، وزوال العقل الذى يعرف به ما يجب لخالقه، وتعطيل الصلوات والتعوق عن ذكر الله، إلى غير ذلك[16]، وقال في الدر المصون: "ووجهُ قراءة الجمهور واضح، وهو أن الإثمَ يُوصف بالكِبر، ومنه آية {حُوباً كَبِيراً}، وسُمِّيت الموبِقات: (الكبائر)، ومنه قولُه تعالى: (يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ)، وشرب الخمر والقمار من الكبائرِ،

فناسب وصف إثمهما بالكِبَر، وقد أجمعت السبعة على قوله: (وإِثْمهما أكبرُ) بالباء الموحَّدة، وهذه توافقها لفظاً"[17]، والقراءة بالثاء أشمل وأعم من القراءة بالباء، لأن كل كثير فهو كبير، وليس كل كبير كثير[18].

يتلخص مما سبق أن القراءة بالباء جاءت للدلالة على عظم الإثم المترتب على شرب الخمر، ويتأكد هذا الوصف باعتبار أن الخمر تعد من الكبائر، وأما القراءة بالثاء فهي من باب الحمل على المعنى، وذلك لأن الخمر ينتج عنها آثام عديدة، أو لأن الخمر يتعدد فيها أصناف الآثمين.

2 _ **(فأذنوا – فآذنوا):**

قال تعالى: (يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ)(البقرة:278– 279) .

قرأ عاصم في رواية، وحمزة (فآذِنُوا) بالمد وكسر الذال، وقرأ الباقون (فأذَنوا)[19]، فاستبدلت الهمزة في القراءة الأولى بالمد، وتبع ذلك اختلاف في دلالة الآية وتفسير معناها .

فمن قرأ (فآذنوا) فهو من آذنته بكذا وكذا أُوذِنُه إِيذَاناً وإِذْنًا؛ إذا أعلمته [20]، أي أعلمت غيرك بشيء ما، ومعنى الآية على هذا أن الله تبارك وتعالى يوجه خطابه إلى المؤمنين وينهاهم عن التعامل بالربا، وأنهم إذا لم ينتهوا فليُعلِموا غيرهم ممن لم يترك الربا بالحرب عليهم من الله ورسوله، أي أعلموا غيركم بهذه الحرب، وإذا أعلموا غيرهم فهم عالمون به من باب أولى، قال مكي: "لولا أَنَّ الجماعَةَ على القصرِ لكان الاختيارُ المدَّ، ووجَّه ذلك أن آذَنَ بالمدِّ أَعَمُّ من أَذِنَ بالقصر، لأنهم إذا أَعلمُوا غيرَهم فقد عَلِموا هم ضرورةً، من غيرِ عكسٍ، أو يَعْلَمُون هم بأنفسِهم ولا يَعْلَمُ غيرُهم"[21]، ويقول أبو علي الفارسي : " وإذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم أيضا لا محالة، ففي أمرهم بالإعلام ما يعلمون هم أيضا أنهم حرب إن لم يمتنعوا عما نهوا عنه من وضع الربا عمن كان عليه، وليس في علمهم دلالة على إعلام غيرهم"[22] وهذا من بليغ التعبير .

وأما من قرأ (فأذنوا) فهو من أَذِنَ بالشيء إِذْناً وأَذَاناً وأَذَانةً؛ أي عَلِمَهُ[23] ، ومعنى الآية على هذه القراءة أن الله تعالى يوجه خطابه للمؤمنين آمرا لهم بترك التعامل بالربا، وأنهم إذا لم يفعلوا ذلك فليعلموا وليستيقنوا بحرب من الله ورسوله، فخطاب التحذير هنا مباشر، أي اعلموا أنتم أيها المؤمنون ممن لم ينته عن أكل الربا واستيقنوا بالحرب من الله ورسوله[24] ، ويرى ابن عطية أن الخطاب في الآيتين لطائفة واحدة فقال: "والقراءتان عندي سواء، لأن المخاطَب في الآية محصور بأنه كل من لم يَذَر ما بقي من الربا، فإن قيل لهم: (فَأْذَنوا) فقد عَمَّهم الأمر، وإن قيلَ لهم: (فآذِنُوا) بالمدِّ فالمعنى: أنفسَكم أو بعضكم بعضاً، وكأن

هذه القراءةَ تقتضي فَسْحاً لهم في الارتياءِ والتثبُّتِ أي: فَأَعِلموا نفوسَكم هذا، ثم انظُروا في الأرجح لكم: تَرك الربا أو الحرب"[25].

من خلال هاتين القراءتين نلحظ أن القراءة الأولى (فآذنوا) شملت طائفتين بلفظ واحد، فالطائفة الأولى هي طائفة المؤمنين المخاطبون بإعلام غيرهم وتحذيرهم من أكل الربا، والطائفة الثانية هي طائفة آكلي الربا، وكلا الطائفتين واقع عليها التحذير والوعيد من أكل الربا، ويمكن أن يقال: إن الخطاب في هذه القراءة موجه إلى طائفة واحدة هي طائفة آكلي الربا، والخطاب ليس تحذيرا للمؤمنين حق الإيمان؛ لأن هؤلاء يمنعهم إيمانهم من التعامل بالربا، وكأن الحق تبارك وتعالي يقول: أنتم أيها المؤمنون حق الإيمان لا يتأتى منكم أكل الربا، ولكن يبقى عليكم واجب تحذير غيركم من المسلمين الذين ضعف إيمانهم فعصوا الله تعالى وأكلوا الربا .

3- (**تبينوا – تثبتوا**):

قال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**)(النساء:94) .

جاء في هذه الآية قراءتان؛ الأولى (فَتَثَبَّتُوا) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف؛ والثانية (فَتَبَيَّنُوا) وهي قراءة الباقين[26]، وقد وقع الاستبدال هنا بين أكثر من صوت، حيث نلاحظ اختلاف الجذر الاشتقاقي للكلمتين، فمن قرأ (فتثبتوا) فهو من التَثَبُّتِ في الشيء، أي التأني وعدم العجلة فيه، واسْتَثَبَّتَ في الأمر إذا فحص عنه وسأل[27] ، ومعنى الآية على هذا أن الله تعالى يأمر المؤمنين إذا جاءهم أمر أن يتثبتوا ولا يستعجلوا في الأخذ به، بل يجب عليهم التأني والفحص عنه،" أي فاطلبوا ثبات الأمر ولا تعجلوا فيه"[28]، يقول مكي بن أبي طالب في توجيه هذه القراءة: " وحجة من قرأ بالثاء أنه لما كان معنى الآية الحض للمؤمنين على التأني، وترك الإقدام على القتل دون تثبت وتبين، أتى بالتثبت لأنه خلاف الإقدام، والتثبت أفسح للمأمور من التبين؛ لأن كل من أراد أن يتثبت قدر على ذلك، وليس كل من أراد أن يتبين قدر على ذلك، لأنه قد يتبين ولا يتبين له ما أراد بيانه"[29]، أي ليس كل من تأنى في الخبر وفحص عنه يتضح له، بل قد يتأنى ويتبين ولا يتضح له شيء.

وأما من قرأ (فتبينوا) فهو من التَّبَيُّن، أي الإيضاح والوضوح، واستبنت الشيء إذا اتضح بعد تأمل[30]، قال في الكشف: "وحجة من قرأ بالياء من البيان أنه لما كان معنى الآية: افحصوا عن أمر من لقيتموه واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا بقتله،

حتى يتبين لكم حقيقة ما هو عليه من الدين حمل على التَّبَيُّن، لأنه به يظهر الأمر، وأيضا فإن التَّبَيُّن يعم التثبت"[31]، ومعنى الآية على هذه القراءة أن الله تعالى يأمر المؤمنين إذا جاءهم أمر أو خبر أن يسألوا عنه ويتأملوه قبل الإقدام عليه ، ولا يأخذوا به حتى يتيقنوا منه " أي فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وتذرون، ولا تعملوا فيه من غير تدبر وروية "[32]، وقال ابن عاشور: "والتبين: شدة طلب البيان، أي التأمل القوي، حسبما تقتضيه صيغة التفعل. ودخول الفاء على فعل تبينوا لما في إذا من تضمن معنى الاشتراط غالبا، وقرأ الجمهور: {فتبينوا} بفوقية ثم موحدة ثم تحتية ثم نون من التبين وهو تفعل، أي تثبتوا واطلبوا بيان الأمور فلا تعجلوا فتتبعوا الخواطر الخاطفة الخاطئة"[33].

يتبين مما سبق أن وقوع استبدال بين حروف الكلمة القرآنية في هذا الموضع أعطى لكل كلمة معنى خاصا تنفرد به عن معنى الكلمة الأخرى؛ دون أن يعني هذا وجود تعارض أو تناقض بين معنى القراءتين، بل القراءتان تتكاملان في بيان جملة من المعاني المقصودة، وبيان ذلك أن الله تعالى نهى عن التسرع والإقدام والتهور الذي تكون عاقبته الندم والخسارة، ولهذا المعنى جاءت قراءة (فتثبتوا)، وكذلك نهى الله تعالى عن الجهل المفضي إلى الظلم والجور في الحكم على الآخرين والنيل منهم، ولتحقيق هذا المعنى جاءت قراءة (فتبينوا).

4 _ (**يقص – يقض**):

قال تعالى : (**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**)(**الأنعام:57**) .

ورد في هذه الآية قراءتان: الأولى: (يَقُصُّ) وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم، والثانية: (يَقْضِ) وهي قراءة الباقين[34]، فالاستبدال في هذه الكلمة بين حرفي الصاد والضاد، وهذا يعني اختلاف الجذر الاشتقاقي للكلمتين، وبالتالي اختلاف معنى كل منهما، فمن قرأ (يَقُصُّ) فهو من قَصَّ يَقُصُّ قَصَصَاً، ومعاني هذا الجذر كثيرة منها: القطع كقولك: قصصت ما بينهما؛ أي قطعت، ومنها: الإخبار والبيان كقوله تعالى: (**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**)(يوسف: 3)، ومنها: تتبع أثر الشيء، كقوله تعالى: (**وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**)(القصص:11)، ومنها: الخبر[35] ، ومن قرأ (يقض) فهو من القضاء، ولها معان متعددة، منها: الحكم؛ يقال قضى يقضي قضاء فهو قاض: إذا حكم وفصل، ومنها: الإعلام؛ كقوله تعالى: (**وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً**)(الإسراء:4)، ومنها: الفراغ من الشيء، ومنها الخلق والصنع؛ كقوله تعالى: (**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ**

سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا)(فصلت:12)، وقد ذكر الأزهري أن معاني القضاء ترجع كلها إلى انقطاع الشيء وتمامه[36].

انعكس هذا الاختلاف في بنية الكلمة على معنى الآية ودلالتها؛ فمن قرأ (يَقُصُّ) فالمعنى إما مأخوذ من الاقتصاص وهو اتباع الأثر؛ أو مأخوذ من القصص؛ أي الحكاية والخبر، فعلى أنها من الاقتصاص يكون المعنى أن الله تعالى يُجري أقداره ومشيئته على إثر الحق، أي أن القدر يتبع الحق [37]، وإذا قلنا أنها من القصص فالمعنى أن الله تعالى يحكي الحق، أو يقول الحق، وأن كل ما أخبر به وأنبأ به فهو واقع لا محالة، لأنه لا يخبر إلا أقاصيص الحق [38]، وأما على قراءة (يَقْضِ)؛ فالمعنى إما مأخوذ من القضاء؛ أي الحكم، وإما مأخوذ من الإعلام؛ فعلى القول الأول يكون معنى الآية أن الله تعالى يقضي بين الخصوم بالحق والعدل، أي يقضي القضاء الحق، يقول الطبري: "فمعنى الكلام إذن: ما الحكم فيما تستعجلون به أيه المشركون من عذاب الله وفيما بيني وبينكم إلا لله الذي لا يجور في حكم؛ وبيده الخلق والأمر، يقضي الحق بيني وبينكم، وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه "[39] ، وعلى القول الثاني يكون معنى الآية أن الله تعالى يخبر بالحق، فأخباره جل وعلا كلها حق لا يشوبها أي باطل، وعليه فتكون بمعنى قراءة (يقص) .

يتلخص مما سبق أن كل قراءة استقلت بمعنى خاص، وكلا المعنيين حق، "فالله تعالى لا يصدر عنه إلا الحق، فما أخبرنا به في كتابه من أحوال الأمم في إيمانها وكفرها وصلاحها وفسادها كله حق، ثم إن القضاء الذي يقتضيه بين الخلائق صالحها وفاسدها، محسنها ومسيئها إنما يجري بقلم الحق، لأنه صادر عن الحق"[40].

5 – (نشرا – بشرا):

قال تعالى:(وهو **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)(الأعراف:57) .

قرأ ابن عامر(نُشْراً) بضم النون وسكون الشين، وقرأ عاصم (بُشْراً)بضم الباء وسكون الشين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (نَشْراً) بفتح النون وسكون الشين، وقرأ الباقون (نُشُرا) بضم النون والشين [41]، وقد جمعت هذه الكلمة نوعي الاستبدال، وأعني بهما استبدال الصوامت واستبدال الصوائت؛ فمن قرأ (نُشُرا) بضم النون والشين، أو (نُشْراً) بضم الميم وسكون الشين؛ أو(نَشْراً) بفتح النون وسكون الشين، فهذا من النَشْرِ الذي هو الحياة، يقال: نَشَرَ الله الأرض؛ أي أحياها، ونشر الموتى؛ أي أحياهم [42]، " والنشر من الرياح: الطيبة التي تنشئ السحاب "[43]، وقال بعض اللغويين: إن (نُشُر) جمع (نَشُور) بفتح النون،

يقال: (ريح نَشُور)، و (رياح نَشُور)[44] ، قيل: هي الريح الطيبة التي تهب من كل جانب، وقيل هي بمعنى الإحياء؛ وأنشر الله الريح، مثل أحياه، فنشرت، أي حييت[45]، وقيل في معنى قراءة(نَشْراً) بفتح النون وسكون الشين إنه من النَشْر الذي هو خلاف الطي، ونَشَرَ الشيء نَشْرا؛ أيبسطه بعد أن كان مطويا، وكأن المعنى هنا أن الريح في حال سكونها كالثوب المطوي، فيرسلها الله ويبسطه في السماء، فتصبح منفتحة بعد طي، ومتحركة بعد سكون [46] .

بناء على هذه المعاني اللغوية يتلخص تفسير القراءات السابقة في معنيين: (الأول): أن الله تعالى يرسل الرياح الطيبة من كل جانب واتجاه محملة بالسحاب، فيكون معنى الكلام إذا: "والله الذي يرسل الرياح لَيِّناً هبوبها، طيبا نسيمها، أمام غيثه الذي يسوقه بها إلى خلقه فينشئ بها سحابا ثقالا، حتى إذا أقلتها، والإقلال بها : حملها، كما يقال: استقل البعير بحمله وأقله: إذا حمله فقام به، ساقه الله لإحياء بلد ميت، قد تعفت مزارعه، ودرست مشاربه، وأجدب أهله، فأنزل به المطر، وأخرج به من كل الثمرات "[47]، ويقول ابن عاشور: "ومعنى ذلك أن ريح المطر تكون لينة، تجيء مرة من الجنوب ومرة من الشمال، وتتفرق في الجهات حتى ينشأ بها السحاب ويتعدد سحابات مبثوثة "[48] ، وهذا على اعتبار أن (نُشُرا) تعني الرياح الطيبة؛ وأما المعنى (الثاني) فهو أن الله تعالى يبعث الرياح ويحيها بعد أن كانت ساكنة لا حياة فيها ولا حركة، وبإحيائها تسوق السحاب المحمل بالغيوم والأمطار، فتحي به الأرض بعد قحطها ويبسها، وهذا على اعتبار أن (نشرا) من النشر الذي هو الإحياء؛ ومن قرأ (بُشْراً)، فهو من البَشَارة، وهي كل أمر يَسُرُ ويُفْرِح، يقال: بشرته بمولود فأبشر به إبشارا، أي سَر وفَرح به[49] ، فقيل: إن (بشرا) في هذه الآية جمع (بشير) أي تبشر الريحُ بالمطر[50]، ومعنى الآية على هذه القراءة أن الله تعالى يذكر الناس برحمته ونعمته عليهم بإرساله الرياح مبشرة للناس بقرب نزول المطر، فيفرح الناس بهذه النعمة ويسرون بها [51]، وجميع معاني القراءات السابقة تحتملها الآية الكريمة.

6– (تتلوا – تبلوا):

قال تعالى: (**هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ**)(**يونس:30**).

قرأ حمزة والكسائي (تتلوا)، وقرأ الباقون (تبلوا)[52]، فالاستبدال بين حرفي الباء والتاء، ولكل منهما جذره الاشتقاقي، ومعناه الدلالي، فمن قرأ (تتلوا) فهو من تَلَوتُه تُلُوا؛ أي تبعته، وتَتَلَّى الشيء إذا تبعه، ولها معنى آخر هو القراءة، يقال: تلى يتلوا تلاوة؛ يعني قرأ قراءة[53] ، فعلى اعتبار أن (تلى) هنا بمعنى (التتبع) يكون معنى الآية أن الله تعالى يخبر عن حال الناس يوم القيامة حيث تأخذ كل نفس صحيفة أعمالها التي عملتها في الحياة الدنيا، وأن كل نفس تتبع ما كسبته من عمل في الدنيا،" أي تتبع

ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة وإلى طريق النار"[54]، وأما إذا كانت (تلى) هنا تعني (القراءة) فمعنى الآية أن كل نفس تقرأ في صحيفتها ما قدمت من أعمال في الحياة الدنيا من خير أو شر[55]، قال في البحر المحيط: " وقرأ الإخوان وزيد بن علي : تتلوا بتاءين أي : تتبع وتطلب ما أسلفت من أعمالها ، قاله السدي، .... قيل: ويصح أن يكون من التلاوة وهي القراءة أي : تقرأ كتبها التي تدفع إليها"[56].

وأما من قرأ (تَبْلُوا) فهو من بلوت الشيء وابتليته؛ أي اختبرت، وبلاه يبلوه بلوا إذا جربه واختبره، وابتلاه الله امتحنه، وقيل: إن (بلى) قد تأتي بمعنى أخبر[57]، ومعنى الآية على المعنى الأول أن كل نفس يوم القيامة تختبر ما أسلفت من خير أو شر، أي: " تختبر ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو؛ أقبيح أم حسن، أنافع أم ضار، أمقبول أم مردود ؟ كما يتعرف الرجل الشيء باختباره "[58] ، وإذا قلنا أن (بلى) هنا بمعنى أخبر فمعنى الآية أن كل نفس تُخبر يوم القيامة بما عملت في الدنيا من خير أو شر،"أي: تختبر ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن، أنافع أم ضار، أمقبول أم مردود؟ كما يتعرف الرجل الشيء باختباره"[59] ويرى ابن جرير الطبري أن المعنى على القراءتين متقارب "وذلك أن من تبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا هجم به على مورده؛ فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيء في الدنيا، وأن من خبر ما أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة فإنما يخبر بعد مصيره إلى حيث أمله ما قدم في الدنيا من عمله، فهو في كلتا الحالتين متبع ما أسلف من عمله مختبر له"[60].

يتحصل من هاتين القراءتين معنى لطيف وهو أن هناك" أحوالا مختلفة للنفس إبان الحساب يوم القيامة؛ فهي تقرأ كتابها وتتعرف ما فيه، وتختبر وتعرف حقيقة حالها وما ستؤول إيه، ثم تتبعه فيقودها إلى جنة أو نار"[61].

7- (واتَّخَذُوا – وَاتَّخذوا، قال تعالى: (**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)(البقرة:125)** .

جاء في هذه الآية قراءتان: الأولى: (واتَّخَذُوا) بفتح الخاء، وهي قراءة نافع وابن عامر، والثانية: (وَاتَّخِذُوا) بكسر الخاء وهي قراءة الباقين[62]، والاستبدال كما هو ظاهر واقع بين حركات بنية الكلمة؛ وهو ما نتج عنه تغير في دلالتها كما سيأتي.

على قراءة (واتَّخَذُوا) بالفتح يكون المعنى على الإخبار، أي أن الله تعالى يخبرنا عن حال أناس من المؤمنين قبل نزول القرآن اتخذوا من مقام نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام مكانا للصلاة والعبادة، وذلك لأن حركة الفتحة صيرت الفعل ماضيا، والفعل الماضي يدل على حدث وزمان مضيا وانقضيا، ولتوجيه دلالة هذا الفعل في الآية القرآنية نجد مكي بن أبي طالب

يستخدم السياق لإبراز معنى الإخبار في هذه القراءة فقال: " قراءة نافع وابن عامر على الخبر عمن كان قبلنا من المؤمنين أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، فهو مردود على ما قبله من الخبر وما بعده، والتقدير: واذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى، واذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم، فكله خبر فيه معنى التنبيه والتذكير لما كان حمل على ما قبله وما بعده ليتفق الكلام ويتطابق"[63] ، وقراءة الإخبار تفيد معنى آخر هو الإشارة إلى عظم البيت الحرام من جهة أن الناس كانت تقدسه منذ القدم، من لدن نبي الله إبراهيم عليه السلام، وذلك باتخاذهم مقامه مصلى.

وأما القراءة بكسر الخاء فهي أمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى، فدلالتها إذا على الحال والمستقبل، وهو ما تدل عليه صيغة فعل الأمر، والمعنى إن الله تعالى يأمر عبادة المؤمنين من أتباع دين الإسلام باتخاذ مقام إبراهيم مصلى، يقول مكي بن أبي طالب: "وقرأ باقي القراء بكسر الخاء على الأمر بأن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى، وبذلك أتت الروايات عن النبي عليه السلام، وروي أن النبي عليه السلام أخذ بيد عمر فلما أتيا المقام قال عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ فقال النبي: نعم، فقال عمر: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله جل ذكره(**وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**) على الأمر بذلك، أي افعلوه"[64]؛ وفي القراءة بالكسر معنى يعاضد قراءة الفتح؛ إذ فيها معنى تجديد التوجيه للمؤمنين للعناية بهذا البيت واتخاذ مقام نبي الله إبراهيم مصلى، وأن أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أولى وأجدر بهذا الشرف، وكذلك تحمل قراءة الكسر معنى نسبة هذه الشعيرة إلى دين الإسلام، دفعا لما قد يتوهم في أذهان المخاطبين من أن تقديس هذه البقعة من المسجد الحرام هو من شعائر الجاهلية، فجاء الأمر باتخاذ المقام مصلى مثبتا لقدسية هذا المكان في الإسلام.

8- (**قُبُلاً – قِبَلاً**):

قال تعالى: (**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**)(**الأنعام:111**) .

في هذه الآية قراءتان: (قِبَلاً) بكسر القاف وفتح الباء، وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر، والثانية: (قُبُلاً) بضم القاف والباء معا، وهي قراءة الباقين[65]، وقد اختلفت حركات البنية في كلتا الكلمتين، ومن ثم اختلفت دلالتهما، فـ (قِبَلا) في اللغة تأتي بمعنيين: المشاهدة والمعاينة، ولقيته قِبَلا أي معاينة، والثاني بمعنى ناحية وجهه [66]، ولا تكون مواجهة إلا بمعاينة ومشاهدة، وعلى هذا يكون معنى الآية أن الله تعالى يخبر أن الكفار لو حشر لهم كل شيء فعاينوه وواجهوه عيانا لم يكونوا ليؤمنوا، قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد، ايئسْ من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأصنام،

القائلين لك: (لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك)، فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عيانًا، وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم حُجَّةً لك، ودلالة على نبوّتك، وأخبروهم أنك محقٌّ فيما تقول، وأن ما جئتهم به حقٌّ من عند الله، (وحشرنا عليهم كل شيء) فجعلناهُم لك (قبلا) ما آمنوا ولا صدّقوك ولا اتبعوك (إلا أن يشاء الله) ذلك لمن شاء منهم"[67].

وأما القراءة الثانية(قُبُلا) فتأتي على ثلاثة معان: الأول: بمعنى جمع قبيل، وعلى هذا يكون المعنى " وحشرنا عليهم كل شيء قَبِيْلا قَبِيْلا، أي: صفا صفا، أي: لو عاينوا ذلك ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله"[68] والثاني: بمعنى كفيل، ومعنى الآية على هذا "وحشرنا عليهم كل شيء كفيلا، أي: يتكفل لهم ما يريدون ويضمنه لهم ليؤمنوا، وفي كفالة ما لا يُغفل آية عظيمة لهم ما آمنوا إلا أن يشاء الله[69] ، والثالث: بمعنى مواجهة، وعلى هذا فهي بمعنى القراءة الأولى، وفي معالم التنزيل: " هو جمع قبيل، وهو الكفيل، مثل رغيف ورُغف، وقضيب وقُضُب أي من قولهم: ضُمناء وكُفلاء، وقيل: هو جمع قبيل وهو القبيلة، أي: فوجا فوجا، وقيل: هو بمعنى المقابلة والمواجهة، من قولهم: أتيتك قبلا لا دبرا إذا أتاه من قبل وجهه"[70].

9- (أيمان – إيمان):

قال تعالى: (**وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**)(**التوبة:12**).

جاء في الآية قراءتان: الأولى: (إيمان) بكسر الهمزة، وهي قراءة ابن عامر، والثانية: (أيمان) بفتح الهمزة، وهي قراءة الباقين[71]، فالاستبدال بين حركتي الفتحة والكسرة ، وعلى كل منهما اختلاف في دلالة الكلمة ومن ثم دلالة الآية، فمن قرأ (إيمان) فهو مصدر أَمِنتُه أَمْنَاً وإِيْمَانَاً، من الأمان الذي هو ضد الخوف[72]، وليس من الإيمان بمعنى التصديق، لأنه تعالى وصفهم قبل ذلك بالكفر، قال مكي بن أبي طالب: "ويبعد في المعنى أن يكون من الإيمان الذي هو ضد التصديق، لأنه قد وصفهم بالكفر قبله، فتبعد صفتهم بنفي الإيمان عنهم لأنه معنى قد ذكر إذ أضاف الكفر إليهم، فاستعماله بمعنى آخر أولى ليفيد الكلام فائدتين"[73]، ومعنى الآية على هذا أن الله تعالى يأمر المؤمنين بقتال الكفار لأنهم لا يوفون لأحد بأمان يعقدونه، فهم قوم لا عهد ولا أمان لهم، وقيل معنى الآية أن الله تعالى يأمر المؤمنين بقتال الكفار وعدم إعطائهم الأمان؛ أي ليس لهم أن يُؤَمَّنُوا أو يجاروا بل اقتلوهم حيث وجدتموهم حتى يسلموا، وفي معالم التنزيل: " (لا إيمان لهم) بكسر الألف، أي: لا تصديق لهم ولا دين لهم. وقيل: هو من الأمان، أي لا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم"[74].

وأما من قرأ (أيمان) فهو جمع يمين؛ وهو الحلف أو القسم[75]، ومعنى الآية على هذا أن الله تعالى يأمر المؤمنين بقتال الكفار والحذر منهم لأنهم لا يوفون بما أقسموا عليه من العهود والمواثيق، أو سمى العهود أيمانا، فيكون المعنى أنهم لا عهود لهم، وفي الدر المصون: " وقرأ الباقون بالفتح، وهو جمعُ يمين، وهذا مناسب للنكث، وقد أُجْمع على فَتْح الثانية، ومعنى نفي الأيمان عن الكفارِ، أنهم لا يُوفون بها، وإن صَدَرَتْ منهم وَثَبَتَتْ"[76]، ويستعين مكي بن أبي طالب بالسياق لتأكيد المعاني السابقة فيقول: "ودل على أنه من الأمان قوله عنهم: (**لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**) (**التوبة:10**)؛ أي لا يفون لأحد بعهد ولا يحفظون ذمام أحد، وقرأ الباقون بفتح الهمزة جعلوه جمع يمين، ودل على ذلك قوله قبل ذلك: (**إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم**)، والمعاهدة بالأيمان تكون، ودل على ذلك قوله: (**أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ**)"[77].

9- (**السَوء– السُوء**):

قال تعالى:(**وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)(**التوبة:98**) .

ورد في هذه الآية قراءتان: الأولى: (السُوء) بضم السين، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، والثانية: (السَوء) بفتح السين، وهي قراءة الباقين[78]، وقد نتج عن تغير حركة البنية في الكلمتين تغير في دلالة الكلمة، فـ(السُوء) بضم السين تعني الهزيمة والشر[79]، وعلى هذا يكون معنى الآية: عليهم دائرة الهزيمة والشر والعذاب[80]، وأما(السَوء) بفتح السين فتعني الرداءة والفساد، والمعنى عليهم دائرة رديئة فاسدة، أو عليهم دائرة الفساد[81]، قال الطبري: " والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين، بمعنى: عليهم الدائرة التي تَسُوءهم سوءاً، كما يقال: "هو رجل صِدْق"، على وجه النعت"[82]، ومحصل القراءتين واحد لأن الهزيمة والشر يصح وصفهما بالرداءة والفساد، ولعل هذا ما جعل بعض المفسرين يميل إلى القول إن الضم والفتح لغتان بمعنى واحد حيث قال:" وقرىء دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما المضموم فجار مجرى الشر"[83].

10– (قَرن – قِرن):

قال تعالى:(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)(**الأحزاب:33**) .

قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر (وقَرن) بفتح القاف، وقرأ الباقون (وقِرن) بكسر القاف[84]، فمن قرأ (قرن) بفتح القاف فهو فعل أمر من قَرَّ في المكان إذا استقر فيه، والأصل فيها (اقررن)، حذفت الراء الأولى وألقيت حركتها على القاف[85]، ومعنى الآية على هذا أن الله تعالى يأمر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقرار والبقاء في البيوت، وعدم الخروج والتبرج، وقيل: إنها من قار يَقَارُ، أي اجتمع، ويكون المعنى أمر لأمهات المؤمنين بأن يكون اجتماعهن في البيوت[86].

ومن قرأ (قِرن) بكسر القاف، فهو فعل أمر من وقر يقر وقارا و وقارة، والوقار هو الاتزان والسكينة[87]، ومعنى الآية على هذه القراءة أن الله تعالى يأمر نساء النبي بأن يكن ذوات وقار وسكينة في البيوت[88]، وقيل: إن القراءة بالكسر تكون على معنيين: الوقار بمعنى السكون، و القرار بمعنى الاستقرار، قال في المحرر الوجيز: " فأما الأولى فيصح أن تكون من الوقار، تقول: وَقَرَ يَقِرُ وقارا، وقِرن مثل عِدْن، ويصح أن تكون من القرار، تقول: قَرَرت بالمكان –بفتح القاف والراء– أَقِر، الأصل: أقْرِرن، حذفت الراء الواحدة تخفيفا"[89] ، وأما القراءة بالفتح فتأتي فيها أيضا معنيان: معنى القرار والاستقرار بالمكان، ومعنى الاجتماع قال في اللباب: " فأما الفتح فمن وجهين : أحدهما: أنه أمر من قَرِرْتُ – بكسر الراء الأولى – في المكان أَقَرُّ به — بالفتح... الوجه الثاني : أنها أمر من " قَارَ – يَقَارُ – " كخَافَ يَخَافُ إذا اجتمع ، ومنه (القَارَةُ) لاجتماعها ، فحذفت العين لالتقاء الساكنين"[90]، قال مكي بن أبي طالب في معنى القراءتين: " إنما أمرن بالقرار والسكون في بيوتهن وترك التبرج، أو بالوقار في بيوتهن، فهذا هو المعنى الذي عليه التفسير"[91].

خاتمة:

يتبين لنا مما سبق النتائج الآتية:

أولا: شيوع ظاهرة الاستبدال الصوتي في آيات القرآن الكريم، وقد شمل هذا الاستبدال الأصوات الصامتة أو ما يعبر عنه بالحروف؛ والحروف الصائتة أو ما يعبر عنه بأصوات اللين القصيرة، أو حركات البنية، وقد تحقق من خلال هذا الاستبدال توليد الكلمات المختلفة في بنيتها الشكلية والدلالية، إضافة إلى إحداث نوع من التنوع في طرق التعبير.

ثانيا: تتضح العلاقة بين بنية الكلمة القرآنية ودلالتها في ظاهرة الاستبدال الصوتي من خلال اختلاف القراءة للكلمة القرآنية، حيث تقرأ الكلمة الواحدة بأكثر من وجه باستبدال حرف فيها بحرف آخر، ويتبع ذلك اختلاف الجذر الاشتقاقي للكلمة، وهو ما يعني انتماء الكلمتين إلى مجال دلالي مختلف، حيث يكون لكل كلمة معناها الخاص الذي على ضوءه تفسر الآية الكريمة،

وكلا المعنيين مقصود ومراد، فهو يتجاوز التغير اللفظي إلى معان ودلالات إضافية تكسب الآية سعة ورحابة في الدلالة، فهذا الاختلاف في حقيقته اختلاف تنوع وليس خلاف تضاد .

ثالثا: لا يقتصر الاستبدال على حرف واحد؛ فنجد أن بعض الكلمات حدث فيها استبدال لأكثر من حرف.

وفي ختام الكلام على ظاهرة الاستبدال الصوتي تنبغي الإشارة إلى أن الاستبدال يرتبط بالسياق اللغوي والتركيبي الذي يرد فيه، فاستبدال الحروف وإن كان يرتبط بالدرجة الأولى بالكلمة إلا أنه ينبغي كذلك النظر في البنية الكلية للتركيب، والذي من خلاله تستمد الدلالة العامة، تلك الدلالة المرتبطة بالمكونات اللغوية الأخرى في ذات السياق.

Phonemic substitution in Quranic readings and its effect on semantics

Yousf abdlrazag abdlslam alarab**i.**

Department of Arabic, of Uobare Education Faculty, Sebha University, Libya

جدول رقم (6) معامل تضخم التباين (Vif) ومستوي المعنوية(Sig) لمصرف الوحدة

جدول رقم (6) معامل تضخم التباين (Vif) ومستوي المعنوية(Sig) لمصرف الوحدة

Abstract: The Noble Qur'an is still a rich field for linguistic study, whether in its words, structures or rhetoric, how not and it is the word of the Lord of mankind and their teacher, and the Holy Qur'an was revealed to the heart of our Prophet Muhammad, the best of prayers and peace be upon him in a nation whose tongues are articulated with eloquence in the highest degree of its rhetoric, but they nevertheless stood They are unable to come up with the words of God Almighty in his eloquence, and to match him in his eloquence, and from the mercy and ease of God on His servants, the Holy Qur'an was revealed in seven letters to make it easy for Arabs to recite it in different tribes and different tongues. Some of them differ in the movement of the structure of the word or its letters, among them is a difference in the movement of the syntax, and some differ in the wording and composition, and there is no doubt that this difference and diversity in the reading of the Qur'anic word had its effect on semantic

[1]This research comes to shed light on some of the differences in the readings by tracing the phenomenon of phonemic substitution in the Qur'anic readings, how the variation in word sounds affected its semantic e, and what followed that change in the meaning of the verse.

[2]**Key words:** readings - audio - semantics - interpretation – replacement

الهوامش

[1]- ينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، 410؛ الأحرف السبعة في القرآن، أبو عمرو الداني، ص33.

[2] - تعبر الدراسات اللغوية الحديثة عن هذه الظاهرة بتعبيرات مختلفة؛ فبعضهم يسميها التعويض، وآخرون سموها التبديل، وقد استعمل البنيويون منهج الاستبدال للتفريق بين الفونيمات من حيث وظيفتها ؛ فإذا حل فونيم مكان فونيم آخر، وأدى هذا إلى اختلاف في المعنى كان ذلك دليل على أنهما فونيمان لا ينتمان لصورة واحدة، ينظر مبادئ اللسانيات البنوية، الطيب دبة، ص 178 .

[3] – ينظر لسان العرب، ابن منظور ج11، ص48، مادة (بدل).

[4]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص443.

[5]- ينظر المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس، ص245.

[6] – البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، 411.

[7] - وضع حرف موضع حرف في القرآن الكريم، ص6.

[8] -– التحرير والتنوير من التفسير، محمد الطاهر بن عاشور، مج1، ج1، ص 55.

[9]- – ينظر النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، ج 2، ص171.

[10] - ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج5، ص131، مادة (كثر)، ج5، ص125، مادة (كبر).

[11]– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج2، ص433.

[12]- ينظر الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي، ج1، ص342؛ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ج1، ص259.

[13] - سنن أبي داوود، أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، ج3، ص632، (برقم 3674).

[14] – اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي،ج 4، ص 36 .

[15] ينظر الحجة للقراء السبعة، أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، ج1، ص430؛ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، مكي بن أبي طالب، ج1، ص291.

]16] - الجامع لأحكام القرآن، أبي عبدا لله محمد بن أحمد القرطبي، ج3، ص439.

[17] - الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، ج2، ص407.

[18]– ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، ج1، ص291.

[19] – ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، ص178.

[20] – ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج13، ص9، مادة (أذن).

[21] - الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج1، ص318.

[22] – الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج1، ص488.

[23] – ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج13، ص9، مادة (أذن).

[24] – ينظر جامع البيان، الطبري، ج3، ص128؛ الدر المصون، السمين الحلبي، ج2، ص639.

[25] - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق بن عطية، ج2، ص492.

[26] – ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، ص 189.

[27] – ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج2، ص19، مادة (ثبت).

[28] – روح المعاني، الآلوسي، ج5، ص154.

[29] - الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، ج1، ص394.

[30] – ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج13، ص62، مادة (بين).

[31] - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، مكي بن أبي طالب ج1، ص394؛ وينظر المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، محمد سالم محيسن، ج 1، ص415.

[32] – روح المعاني، الآلوسي، ج5، ص154، وينظر جامع البيان، الطبري، ج5، ص265؛ الدر المصون، السمين الحلبي، ج4، ص74.

[33] - التحرير والتنوير، ابن عاشور، مج2، ج5، ص167.

[34] – ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، ص194.

[35]– ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج7، ص73، مادة (قصص).

[36] - ينظر المصدر نفسه، ج15،ص186، مادة (قضى).

[37] – ينظر جامع البيان، الطبري،،ج7، ص245؛ الدر المصون، السمين الحلبي،، ج4،ص658؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، مج3، ج 7، ص268 .

[38] – ينظر التفسير الكبير، فخر الدين محمد الرازي، مج7، ج13، ص8؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، مج3، ج7، ص268 .

[39] – جامع البيان، الطبري، ج7 ، ص245 .

[40] – الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية، محمد أحمد الجمل، ص429.

[41] – ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، ص202 .

[42] – ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج5،ص206،، مادة (شر) .

[43] – معاني القرآن، يحي بن يزيد الفراء، ج1، ص 381 .

[44] – ينظر معاني القرآن للأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي،ج2 ، ص520 .

[45] – ينظر زاد المسير في التفسير، جمال الدين ابن الجوزي،، ج3 ، ص217 .

[46] – ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، ج1، ص465.

[47] – جامع البيان، الطبري، ج7، ص248، وينظر الدر المصون، السمين الحلبي، ج5، ص346.

[48] – التحرير والتنوير، ابن عاشور، مج4 ج9، ص179.

[49] – ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج4، ص61، مادة (بشر).

[50] – ينظر الموضح في وجوه القراءات وعللها، الشيرازي، ج2، ص534.

[51] – ينظر زاد المسير، ابن الجوزي، ج3، ص218؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، مج4، ج9، ص180، الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، ج1، ص466.

[52] – ينظر زاد المسير، ابن الجوزي، ج2، ص212 .

[53] – ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج14،ص102، مادة (تلى) .

[54] – التفسير الكبير، الرازي، مج9،ج17، ص 89.

[55] – ينظر المصدر نفسه، ج 17، ص 89؛ الموضح في وجوه القراءات وعللها، الشيرازي، ج2، ص 622؛ الدر المصون، السمين الحلبي، ج6، ص193.

[56] – البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6، ص51.

[57] – ينظر لسان العرب(مرجع سابق)، ج14، ص83، مادة (بلى) .

[58] – البحر المحيط (مرجع سابق)، ج6، ص51، وينظر جامع البيان(مرجع سابق)، ج11، ص131؛ الدر المصون(مرجع سابق)، ج6، ص193.

[59] البحر المحيط (مرجع سابق)، ج6 ، ص51.

[60]– جامع البيان(مرجع سابق)، ج11، ص132 .

[61]– الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية(مرجع سابق)، ص433.

[62] – ينظر النشر في القراءات العشر(مرجع سابق)، ج2، ص167 .

[63] – الكشف عن وجوه القراءات السبع(مرجع سابق)، ج1، ص263 .

[64]– المصدر نفسه، ج1، ص263 ؛ وينظر جامع البيان(مرجع سابق)، ج1، ص617.

[65] – ينظر النشر في القراءات العشر(مرجع سابق)، ج1، ص446 .

[66] – ينظر لسان العرب(مرجع سابق)، ج11، ص536، مادة (قبل)، الدر المصون(مرجع سابق)، ج5، ص112 .

[67] – جامع البيان (مرجع سابق)، ج8، ص5؛ وينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع(مرجع سابق)ج1، ص447 .

[68] – الكشف عن وجوه القراءات السبع(مرجع سابق) ج1، ص446؛ وينظر الدر المصون(مرجع سابق)، ج5، ص 113.

[69] – المصدر نفسه، ج1، ص447 ؛ وينظر الدر المصون(مرجع سابق)، ج5، ص113.

[70] – معالم التنزيل الحسين بن مسعود البغوي، ج2، ص152؛ وينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع(مرجع سابق) ، ج1، ص447؛ الدر المصون(مرجع سابق)، ج5، ص113.

[71] – ينظر النشر في القراءات العشر(مرجع سابق)، ج2 ، ص209 .

[72] – ينظر لسان العرب(مرجع سابق)، ج13، ص21، مادة (أمن) .

[73] – الكشف عن وجوه القراءات السبع(مرجع سابق) ج1،ص500 .

[74]– معالم التنزيل(مرجع سابق)، ج2، ص321؛ وينظر جامع البيان(مرجع سابق)، ج10، ص103؛ الموضح في توجيه القراءات وعللها(مرجع سابق)، ج2 ، ص588 ؛ المغني في توجيه القراءات العشر(مرجع سابق)، ج2، ص201.

[75] – ينظر لسان العرب (مرجع سابق)، ج13، ص458، مادة (يمن) .

[76] – الدر المصون(مرجع سابق)، ج6، ص25؛ وينظر اللباب(مرجع سابق)، ج10، ص34؛ التحرير والتنوير (مرجع سابق)، مج5، ج10 ، ص130 .

[77] – الكشف عن وجوه القراءات السبع(مرجع سابق) ج1، ص500 .

[78] – ينظر النشر في القراءات العشر(مرجع سابق)، ج1، ص210 .

[79] – ينظر لسان العرب(مرجع سابق)، ج1، ص95، مادة(سوء) .

[80] – ينظر الكشاف(مرجع سابق)، ج2، ص؛298 الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج1،ص210 .

[81) – ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع(مرجع سابق)، ج2، ص505 .

(82] – جامع البيان(مرجع سابق)، ج11، ص9.

[83] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، ج6، ص99.

[84]– ينظر النشر في القراءات العشر(مرجع سابق)، ج2، ص261 .

[85] – ينظر لسان العرب(مرجع سابق)،ج13، ص331 ، مادة (قرن) .

[86] – ينظر الدر المصون(مرجع سابق)، ج9 ، ص121 .

[87] – ينظر لسان العرب(مرجع سابق)،ج5، ص289، مادة (وقر) .

[88] –– ينظر جامع البيان(مرجع سابق)، ج7، ص22؛ اللباب(مرجع سابق)، ج15، ص545؛ التحرير والتنوير(مرجع سابق)، مج9، ج22، ص10 .

[89] المحرر الوجيز(مرجع سابق)، ج12، ص59.

[90] – اللباب(مرجع سابق)، ج15، ص544؛ وينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع(مرجع سابق)، ج1، ص198 . معاني القراءات، أبي منصور الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص386.

[91] الكشف عن وجوه القراءات السبع(مرجع سابق) ج1،ص198 .

المصادر والمراجع:

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
2. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، 1992.
3. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001 .
4. التحرير والتنوير من التفسير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، بلاطب، د.تا.
5. التفسير الكبير، فخر الدين محمد الرازي، دار الفكر، بيروت، 1995.

6. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تح. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006.

7. الحجة للقراء السبعة، أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

8. – الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تح.أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 1986.

9. زاد المسير في التفسير، جمال الدين ابن الجوزي، تح. أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

10. سنن أبي داوود، أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية، بلاطب، د.تا.

11. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تح. محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

12. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، مكي بن أبي طالب، تح. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987

13. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي، تح.عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

14. مبادئ اللسانيات البنوية، الطيب دبة، دار القضية للنشر، الجزائر، 2001.

15. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق بن عطية، تح.عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، قطر، 1987.

16. معالم التنزيل الحسين بن مسعود البغوي، تح.عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000.

17. معاني القرآن للأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي، تح. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، 1985

18. معاني القرآن، يحي بن يزيد الفراء، تح. أحمد يوسف نجاتي، دار الشروق، بيروت، بلاطب، د.تا .

19. المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007.

20. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، محمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، 1988.

21. الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي، تح.عمر حمدان الكبيسي، منشورات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، 1993.

22. النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.

23. الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية، محمد أحمد الجمل، دار الفرقان، عمان، الأردن، 2009.